مكانة تاريخ الأندلس في الدراسات العليا بالجامعات الجزائرية (1962-2011م)

أ.د عبد القادر بوباية*

مقدمة: تمكن المسلمون بعدما أكرمهم الله سبحانه وتعالى بخاتم الأنبياء والمرسلين من إقامة دولة مترامية الأطراف امتدت حدودها من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن أواسط آسيا شمالا إلى بلاد السودان جنوبا، ومن المناطق التي فتحها المسلمون بلاد الأندلس.

كان فتح المسلمين لبلاد الأندلس سنة 92هـ (711م) على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، والي بلاد المغرب على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وخلال عملية الفتح أكد سكان بلاد المغرب من البربر اندماجهم التام في حظيرة الدولة الإسلامية من خلال قيامهم بأعباء الفتح الأول الذي شارك فيه حوالي اثني عشر ألف من البربر إلى جانب إخوانهم العرب الذين لم يتجاوز عددهم الثلاثمائة حسب أغلب المؤرخين.

استمر حكم المسلمين للعدوة الأندلسية حوالي ثمانية قرون، (من تاريخ الفتح المذكور سابقا إلى غاية سقوط غرناطة آخر مملكة إسلامية في عام 897هـ/1492م)، وتمكنوا من تشييد حضارة لا تزال آثارها تدل على العظمة التي وصلوها خلال تلك القرون التي كانت فيها بقية القارة الأوروبية تعاني من ويلات التخلف في كافة المجالات.

وخلال تواجد المسلمين بالأندلس، ظلت الروابط وثيقة بينهم وبين إخوانهم في العدوة المقابلة، كما استمر التأثر والتأثير بينهما في كافة المجالات، وعندما بدأت حركة الاسترداد المسيحي كان المغاربة في مقدمة المتطوعين لنجدة إخوانهم، وعندما فقد المسلمون ممتلكاتهم في بلاد الأندلس، كانت مختلف بلدان المغرب الملاذ الأقرب للفارين بدينهم من البطش الإسباني الصليبي.

* – أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب والأندلس–قسم التاريخ ومدير مختبر تاريخ الجزائر–جامعة وهران.

اندمج مسلمو الأندلس في بلاد المغرب، وساهموا في البناء الحضاري لهذا الجزء من العالم الإسلامي، وصاروا جزء لا يتجزأ من المجتمع المغربي، ومن ثم فقد أولى الجزائريون عامة، والباحثون منهم خاصة عناية كبيرة لتدوين تاريخ الأندلس، واستلهام العبر والعظات من تاريخها الحافل بالأمجاد أحيانا، وبالنكسات في أحيان أخرى.

وكان من الطبيعي أن يحظى تاريخ الأندلس بأهمية كبيرة في الدراسات العليا بالجامعات الجزائرية، وتجلى ذلك في تعدد الدراسات المعمقة ورسائل الماجستير والدكتوراه التي خصصت لتاريخ الأندلس.

وسأعمل من خلال هذه المقالة المتواضعة على رصد مختلف الرسائل والأطروحات التي تم تسجيلها في مختلف الجامعات الجزائرية، كما سأعرض فيما بعد أبرز محتويات البعض من هذه الرسائل على سبيل توضيح المحاور الرئيسة التي تناولها الباحثون في هذه الرسائل، ومن ثم إبراز المكانة التي يحتلها تاريخ الأندلس في ضمائر أبناء الجزائر، وبخاصة منهم الباحثين في الجامعات الجزائرية.

الرسائل الجامعية الخاصة بتاريخ الأندلس في الجامعات الجزائرية:

1- دبلوم الدراسات المعمقة:

*- "الأوضاع الاقتصادية لمملكة ميورقة في العصور الوسطى" للطالبة كوران س.، ونوقشت سنة 1965م بجامعة الجزائر العاصمة.

*- "سكان مملكة ميورقة المسلمين في القرن 14م" للطالب قابس ناجم الدين، ونوقشت في 16 أكتوبر 1970م بجامعة الجزائر العاصمة.

*- "العلاقات الاقتصادية والسياسية بين قرطبة ومختلف الأنظمة الإسلامية في القرن العاشر الميلادي" للطالب القلي ج. مونيي، ونوقشت في 13 يناير 1979م بجامعة الجزائر العاصمة.

*- "الموريسكيون في فالنسيا على عهد فيليب الثاني" للطالبة برار عديلة، ونوقشت في 14 يناير 1979م بجامعة الجزائر العاصمة.

*- "ببليوغرافا عن الموريسكيين" للطالب رافيلار مارتيني، ونوقشت في 15 يناير 1979م بجامعة الجزائر العاصمة.

*- "الصراع بين الفاطميين والأمويين على السيادة في المغرب الإسلامي" للطالب حساني مختار، ونوقشت في 26 نوفمبر 1979م بجامعة الجزائر العاصمة.

*– "القوى المغربية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري" للطالب فراد محمد أرزقي، ونوقشت في 02 ماي 1983م بمعهد التاريخ– جامعة الجزائر.

*– "لسان الدين ابن الخطيب وآثاره الفكرية والتاريخية" للطالب كمال إبراهيم، ونوقشت في 23 ماي 1984م في معهد التاريخ– جامعة الجزائر.

2– رسائل الماجستير:

أ– الرسائل المنجزة:

*– "لسان الدين ابن الخطيب، آثاره الفكرية ونظريته التاريخية" للطالب سعيد كمال إبراهيم، ونوقشت بقسم التاريخ– جامعة الجزائر.

*– "مؤلف مجهول– مفاخر البربر– دراسة وتحقيق" الطالب بوباية عبد القادر، ونوقشت في 13 نوفمبر 1996م بجامعة وهران السانية.

*– "اليهود في الغرب الإسلامي إلى سقوط الموحدين" للطالب كواتي مسعود، ويتعلق معظمها باليهود في بلاد الأندلس، ونوقشت بجامعة الجزائر العاصمة سنة 1998م.

*– "أبو مروان عبد الملك بن زهر ودوره في تطور الحركة الطبية في بلاد الأندلس" للطالب جعفر يايوش، ونوقشت سنة 1998م بالمعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهران.

*– "النظام القضائي بالأندلس من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري" للطالب همال عبد السلام، ونوقشت بقسم التاريخ– جامعة الجزائر.

*– "الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 17/16م" للطالب هلايلي حنيفي، ونوقشت عام 2000م بجامعة وهران السانية.

*– "الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/12م" للطالب نور الدين زرهوني، ونوقشت سنة 2002م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران السانية.

*– "الجيش في عهد المنصور بن أبي عامر" للطالبة هواري الزهراء، ونوقشت في جوان 2003م بقسم الحضارة الإسلامية– جامعة وهران.

*– "المرأة في المغرب والأندلس من القرن الخامس إلى منتصف القرن السابع الهجريين" للطالبة كرراز فوزية، وتمت مناقشتها في 21 جوان 2004م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران السانية.

*– "آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية في الأندلس" للطالب بوشريط امحمد، وقد نوقشت في 10 أكتوبر 2004م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران السانية.

*– "الحركة الفكرية في الأندلس على عهد الحكم المستنصر بالله" للطالب صادق قاسم، وتمت مناقشتها في 2 جويلية 2005 بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– "الجيش في الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر" للطالبة سعدو تالية، وتمت مناقشتها في 26 نوفمبر 2005م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– وراد طارق– "أبو مروان ابن حيان ومنهجه التاريخي من خلال كتابه المقتبس" للطالب وزّاد طارق وتمت مناقشتها في 13 جوان 2006م بقسم التاريخ– جامعة وهران.

*– "أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية (138–422هـ/755–1031م) للطالب محمد الأمين ولد أن، وتمت مناقشتها في 21 جوان 2006م بقسم التاريخ– جامعة وهران.

*– "الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين/10–15م" للطالب عبد القادر ربوح، وتمت مناقشتها بقسم التاريخ– جامعة الجزائر سنة 2006م.

*– "الوظائف المساعدة لخطة القضاء في الأندلس" للطالب عبد الحفيظ حيمي، وقد نوقشت في 13 فبراير 2007م بدائرة التاريخ– المركز الجامعي ببشار.

*– "التسامح الديني في ظل الدولة الأموية بالأندلس"، وقد نوقشت في سبتمبر 2007م بقسم التاريخ– جامعة باتنة.

*– "الحجابة في الأندلس على عهد الدولة الأموية" للطالب وهراني قدور، وقد نوقشت سنة 2007م بقسم الحضارة الإسلامية– جامعة وهران.

*– "النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين" للطالب إبراهيم رمضان، وقد نوقشت في 2008م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– "أسرة بني حمدون ودورها السياسي والحضاري في المغرب والأندلس" للطالب محمد سعيداني، وقد نوقشت بقسم الحضارة الإسلامية– جامعة وهران سنة 2008م.

*– "المستعربون ودورهم في الحضارة الأندلسية" للطالب محي الدين صفي الدين، وقد نوقشت بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران في 17 جوان 2008م.

*– "الصناعة والصناع على عهد الخلفاء بني أمية بالأندلس" للطالبة تواتية بودالية، وقد نوقشت بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران في 29 جانفي 2009م.

*– "الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس على عهد ملوك الطوائف (5هـ–11م)" للطالب عمر بوخاري، وقد نوقشت في 7 جويلية 2009م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*–"البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس (138–316هـ/755–929م)" للطالب حميد زيدور، وقد نوقشت في أكتوبر2009م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

* "خطة الكتابة السلطانية في الأندلس على عهد الأمويين" للطالبة نصيرة طيطح، وقد نوقشت في 21 أكتوبر 2009م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– "الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي(366–39هـ/976–1148م)" للطالب يخلف حاج عبد القادر، وقد نوقشت بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران في 25 نوفمبر2009م.

*– "الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس على عهد الموحدين مابين القرنين 6–7هـ (12–13م)" للطالب حاكمي الحبيب، وقد نوقشت سنة 13 جويلية 2010م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– "الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي" للطالبة مليكة عدالة، وقد نوقشت سنة 2010م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

*– "جوانب من الحياة الاجتماعية للبربر في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى دخول المرابطين" للطالبة فتيحة تريكي، وقد نوقشت سنة 2010م بقسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة وهران.

3–أطروحات دكتوراه دولة:

*– "البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(11م)" للطالب الباحث بوباية عبد القادر، ونوقشت في09 أكتوبر2002م بقسم التاريخ وعلم الآثار–جامعة وهران السانية.

*– "الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين" للطالب الباحث محمد الأمين بلغيث، ونوقشت في 15 ماي 2003م بقسم التاريخ– جامعة الجزائر العاصمة.

*- "التأثيرات السياسية والحضارية للأندلسيين على المغرب خلال القرن السابع الهجري(13م) للطالبة الباحثة السيدة دحمان شريفة، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار-جامعة وهران السانية.

4-أطروحات الدكتوراه (النظام الجديد):

أ- الأطروحات التي نوقشت:

* "مخطوطات الطب في الأندلس" للطالب شخوم السعدي، وقد نوقشت بقسم التاريخ- جامعة سيدي بلعباس في 2009م.

ب- أطروحات في طور الإنجاز:

* "أبو مروان ابن حيان القرطبي مؤرخا والمجموع المستدرك من تواريخه" للطالب طارق وراد، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ- جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس.

* "الحياة الاقتصادية في الأندلس على عهد الأمويين" للطالبة تالية سعدو، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* اليهود والنصارى بالأندلس من نهاية الخلافة الأموية إلى سقوط غرناطة" للطالب محمد الأمين ولد أن، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "ظاهرة البيوتات العلمية بالأندلس ودورها الثقافي" للطالب امحمد بوشريط، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "هجرة العلماء الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي" للطالب قاسم صادق، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "العلماء في الأندلس بين المجتمع والسلطة على عهد الأمويين 138-422هـ/756-1031م" للطالب حميد زيدور، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "سفارات بلاط الدولة الأموية بالأندلس" للطالبة نصيرة طيطح، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "الدور السياسي والإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين(10-12م)" للطالب حاج يخلف عبد القادر، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين" للطالب حبيب حاكمي، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

* "الموالي في الأندلس ودورهم السياسي والعلمي على عهد الأمويين 138-422هـ/756-1031م" للطالبة فتيحة تريكي، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ- جامعة وهران.

* "الحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ/755-1031م)" للطالب محي الدين صفي الدين، وهي في طور الإنجاز بقسم التاريخ- جامعة وهران.

5-نماذج من الرسائل الجامعية المتعلقة بالأندلس:

* القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) للباحث محمد أرزقي فراد.

تعتبر هذه الرسالة المنجزة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، والتي نوقشت بتاريخ 1983/05/02م، من أبرز البحوث المخصصة لموضوع البربر في بلاد الأندلس، وقد عالج فيها صاحبها دور البربر في أحداث الأندلس من أواخر القرن الرابع الهجري إلى نهاية الخامس الهجري (القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين).

قسّم الباحث رسالته إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وتناول في الفصل الأول هجرة البربر إلى الأندلس وأماكن استقرارهم، وتعاظم نفوذهم السياسي والعسكري، كما أشار إلى انهيار الخلافة الأموية وانفراط عقد الأندلس، وقيام ما عرف بممالك الطوائف، وذكر الباحث أهم الإمارات البربرية وعلاقاتها مع ممالك العرب والصقالبة، كما تطرق في الفصل ذاته إلى أوضاع الإمارات المسيحية التي كانت بصدد جمع شملها وتحقيق وحدتها.

وخصّص الباحث الفصل الثاني لدولة بني حمود التي كانت تستقطب البربر في الأندلس سواء أثناء تمركزها في قرطبة أو بعد انتقالها إلى مالقة، وذلك إلى غاية استيلاء حكام بني زيري في غرناطة على ممتلكاتها.

وتناول في الفصل الثالث إمارة بني زيري بغرناطة التي أسسها زاوي بن زيري، وكانت على جانب كبير من القوة وبخاصة في عهد باديس بن حبوس (428-465 هـ/1037-1073م) الذي نجح في إحباط محاولات العامريين حكام ألمرية، وبني عباد حكام إشبيلية في السيطرة على دولته، وذكر في نهاية هذا الفصل أهم البيوتات البربرية الأخرى التي استقرت بمدن وأقاليم جنوب الأندلس.

أما الفصل الرابع فقد خصصه لإمارتي بطليوس وطليطلة، وقد أسس الأولى بنو الأفطس في غرب الأندلس، واشتهروا بحبهم للعلم لذلك غصّ بلاطهم بالعلماء والأدباء والشعراء، كما خاضوا حروبا عديدة ضد المسيحيين؛ وضد الأمراء المسلمين المتاخمين لهم، أما الإمارة الثانية فقد أسسها بنو ذي النون في الثغر الأوسط، وبذلك كانت درعا قويا يحمي مسلمي الأندلس من اعتداءات النصارى المتكررة، والتي كان سقوطها بيد ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة 478 هـ/1085م بداية لنهاية المسلمين بالأندلس.

تناول الباحث في الفصل الخامس سقوط الإمارات البربرية وغيرها بيد المرابطين الذين استنجد بهم أمراء الطوائف على إثر سقوط طليطلة بيد المسيحيين الأسبان، وبعد الانتصار الكبير الذي حققه المسلمون في معركة الزلاقة سنة 479 هـ/1086م، قرر يوسف بن تاشفين القضاء على ملوك الطوائف لأنهم سبب الداء الذي نخر عظام مسلمي الأندلس[1].

وختم الباحث رسالته بالإشارة إلى أن البربر خلال النصف الثاني من القرن الرابع والقرن الخامس الهجري قد لعبوا دورا بارزا على جميع الأصعدة، من ذلك توليهم أكبر مناصب القضاء والإدارة إضافة إلى دورهم البارز في صنع الانتصارات العسكرية خلال عهد الخلافة وبخاصة في عهد محمد بن أبي عامر، وعندما انهارت الخلافة الأموية استغل البربر قوتهم العسكرية وتفاقم الوضع السياسي ليؤسسوا إمارات مستقلة برزت على جميع الأصعدة[2].

*– "مفاخر البربر: دراسة وتحقيق" في إطار رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط للطالب عبد القادر بوباية.

تمهيد: يعتبر مخطوط مفاخر البربر من المصادر التاريخية الهامة المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، وبتاريخ قبيلتي زناتة وصنهاجة بصفة خاصة، كما يعتبر من أولى المصادر التي اعتنت بأنساب البربر وتاريخهم وقبائلهم[3].

وبغية إفادة المهتمين بتاريخ بلاد المغرب صمم الباحث على دراسة وتحقيق المخطوط رغم كونه قد نشر من طرف الأستاذ ليفي بروفنسال سنة 1934م تحت عنوان "نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى"، وما دفعه إلى ذلك هو احتواء هذه النشرة على الكثير من النقائص، أضف إلى ذلك أنه نشر دون دراسة وتحقيق.

ورغم الصعوبات التي تنطوي عليها دراسة وتحقيق المخطوطات، فإنه بذل قصارى جهده كي يخرج نصا صحيحا مبرءا من الوهم والخطأ قدر الإمكان، معتمدا على النسختين

المتوفرتين لديه، واللتان تحملان الأرقام "ك.1275" و"د.1020"، إضافة إلى الجزء الذي نشره ليفي بروفنسال، وبسبب وضوحها وسهولة قراءتها جعل النسخة "ك.1275" هي الأصل الذي اعتمده في التحقيق[4].

التعريف بالمخطوط: هو مجموع يسمى"مفاخر البربر"، ويتكون المخطوط من أجزاء اقتبسها مؤلفه من الكتّاب المغاربة والأندلسيين الذين حوت كتبهم معلومات تتعلق بالأحداث السياسية التي شهدها المغرب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (القرنين العاشر والحادي عاشر الميلاديين)، ويضيف إلى ذلك تراجم العديد من ملوك ورؤساء البربر في المغرب والأندلس، ويذكر عددا كبيرا من علماء البربر في المغرب والأندلس، كما يطّعم كتابه بجملة من الأبيات الشعرية، ولا يكتفي المؤلف بالاقتباس فقط بل يضيف إلى ما ينقله عن الكتّاب الآخرين العديد من المعلومات التي استقاها من تحرياته الخاصة، أو من مصادر مفقودة تمكن هو من الإطلاع عليها[5].

محتوى المخطوط: يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة يبرز فيها الدوافع التي جعلته يؤلف هذا الكتاب حيث يقول: "فإنه لما كانت البربر عند كثير من جهلة الناس أخسّ الأمم وأجهلها، وأعراها من الفضائل وأبعدها عن المكارم، رأيت أن أذكر ملوكهم في الإسلام ورؤساءهم وثوارهم وأنسابهم وبعض أعلامهم وتواريخ أزمانهم"، وأهم محتويات المخطوط هي:

*–أخبار المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك مع البربر، وتمثل الجزء الأكبر من المخطوط (من الورقة 58 إلى الورقة 79) وتستغرق فترة زمنية تمتد من سنة 368هـ إلى سنة 399هـ، ولا يكتفي المؤلف خلال ذلك بإيراد أخبار المنصور بن أبي عامر وابنه فقط؛ بل يذكر أخبارا تتعلق بقيام دولة صنهاجة الزيرية بعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 360هـ، وغزوات زيري بن مناد ثم ابنه بلقين لبلاد المغرب الأقصى، وكذا حركة الحسن بن قنون (جنون) ضد الأمويين بالأندلس.

ثم أخبار زيري بن عطية المغراوي وابنه المعز حيث يذكر مصير زيري بعد هزيمته أمام جند المنصور بن أبي عامر؛ وبداية صراعه مع الصنهاجيين، وبعد وفاته يتكلم عن خليفته المعز بن زيري، ويورد كتاب المظفر عبد الملك إليه وفيه يقلده بلاد المغرب؛ ثم يتكلم بعدها على مصير الأندلس والمغرب بعد تولي أمر الحجابة من طرف عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر.

ويعرّج على ذكر ثوار الأندلس؛ ومنهم إسماعيل بن ذي النون الثائر سنة 409هـ، وزاوي بن زيري بن مناد وابن أخيه حباسة وحبوس الثائرين سنة 405هـ، وبنو برزال الثائرين في أول المائة الخامسة، وأبو نور بن أبي قرّة المغيلي ويتطرق إلى ثوار البربر ببلاد المغرب؛ ومنهم زيري بن عطية وخلفاءه وتميم بن زيري اليفرني الذي ثار في سلا والمصامدة الذين ثاروا بأغمات، وموسى بن أبي العافية المكناسي والصفرية الذين ملكوا سجلماسة، وأبو يزيد مخلد بن كيداد الذي قام على العبيديين سنة 332هـ.

كما يورد المؤلف أخبارا تتعلق بمحاولات الفاطميين لفتح مصر وآخرها محاولة جوهر الناجحة مبرزا الدور الذي قام به البربر في تحقيق ذلك، ويتطرق المؤلف إلى أخبار صنهاجة؛ فيذكر مناد بن منقوش الوتلكاتي الصنهاجي الذي ملك المغرب وإفريقية والخلفاء الذين جاءوا بعده، ثم يتكلم عن قبيلة لمتونة الصنهاجية وخروجها من الصحراء بعد الأربعمائة ويركز على بني تاشفين، ويذكر غزوات عبد الله بن ياسين واستيلائه على بلاد المصامدة سنة 450هـ، ثم يتناول بداية دولة المرابطين؛ فيتكلم المؤلف المجهول عن قيامها ويذكر غزوات يوسف بن تاشفين لقبيلة زناتة، وشروعه في بناء مدينة مراكش، وحروبه مع سقوت البرغواطي وابنه أصحاب مدينتي سبته وطنجه، ثم يذكر بعض رؤساء البربر، وفي آخر الفقرة يتكلم عن الحروب التي وقعت بين تاشفين بن علي وعبد المؤمن بن علي والتي ستنتهي بمقتل الأول وبالتالي بداية نهاية دولة المرابطين.

وبعدها يذكر بداية دولة الموحدين ويبدأ كلامه بالحروب الواقعة بين المرابطين والموحدين؛ ويضيف أخبارا عن دخول عبد المؤمن بن علي إلى أهم المدن المغربية وآخرها مراكش في 28 شوال سنة541هـ، ولا يتوسع المؤلف كثيرا في الكلام عن هذه الدولة.

ويورد المؤلف في كتابه سبعا وسبعين ترجمة لفقهاء وعلماء ومؤرخين ومتصوفين من أصول بربرية، وأغلب هؤلاء الأعلام من سكان المناطق الساحلية للمغرب الأقصى؛ وبخاصة مدينة أزمور كما أن جلّ هؤلاء الأعلام توفوا في نهاية القرن السابع وبداية الثامن الهجريين أي في الفترة القريبة من تاريخ تأليف المخطوط الذي يقابل سنة 712هـ، وهذه الفقرة التي تستغرق الصفحات من 91 إلى الصفحة 99 هي من تأليف صاحب المخطوط حيث لا تسبق مثل بقية الفقرات بـ"قال فلان في كتابه"، ويختم المؤلف هذا الفصل بإيراد أخبار عن حملة القائم الفاطمي على مصر سنة 302هـ .

ويذكر المؤلف من تنبأ من البربر، ويخص بالذكر منهم صالح بن طريف البرغواطي وعاصم بن جميل اليزدجومي وحاميم بن منّ الله الملقب بالمفتري الذي ادعى النبوة ببلاد غمارة، وينفرد بنشر قصيدة بائية لشرف الدين البوصيري تتألف من تسع وخمسين بيتا يتعلق موضوعها بمدح الشيخ أبي مدين شعيب، دفين العبّاد كما يذكر معه جملة من علماء الصوفية ببلاد المغرب وبلاد المشرق.

ويخصّص صاحب المخطوط فصلا لذكر سبق البربر وفخرهم ويتضمن هذا الفصل الأخبار والأحاديث التي تبين ذلك، والقاسم المشترك بين كل هذه الأخبار والأحاديث هو البرهنة على المكانة المرموقة التي يحتلها البربر، والدور الكبير الذي لعبوه في التاريخ، ثم يذكر الحدود الجغرافية لبلاد المغرب، وأنساب البربر نقلا عن أبي محمد بن حزم حيث يورد مختلف الأقوال المتعلقة بهذا الموضوع كما يذكر المؤلف نقلا عن نفس المؤلف أهم بيوتات البربر بالأندلس، ويأتي أيضا على ذكر ولاة لمتونه بها؛ فيورد قائمة تتضمن أسماء الولاة الذين تداولوا على ولايات قرطبة وإشبيلية وغرناطة وألمرية وبلنسية وسرقسطة، وهي قائمة ينفرد بها المؤلف حيث لا يذكرها بقية المؤلفين سواء المعاصرين أو اللاحقين للمؤلف، وبخاصة ابن عذاري وابن أبي زرع وعبد الرحمن بن خلدون.

ويعرّج المؤلف على موضوع بناء القيروان وغزوات عقبة بن نافع في المغرب الأقصى؛ فيذكر تولية عقبة بن نافع وبناء القيروان وما رافقها من كرامات، كما يورد أخبارا عن غزوات عقبة بن نافع لبلاد المغرب الأقصى، ويختم هذه الفقرة بمقتل عقبة على يد كسيله سنة 63هـ بتهودة، ويعود بعدها إلى الحديث عن نسب البربر؛ ويذكر عدة روايات منها أنهم التحقوا بأبيهم حام الذي خرج إلى بلاد المغرب، ومنها أنهم قدموا من فلسطين بعد مقتل جالوت على يد داود عليه السلام كما يذكر أنهم من كنعان ومن العماليق، ويرجع تسميتهم إلى إفريقش الملك الحميري الذي قال لهم :"ما أكثر بربرتكم"، وقال في ذلك شعرا جاء في بيته الأول:

بربرت كنعان لما سقتها من أرض الضنك إلى العيش الخصيب

ولا يغفل المؤلف ذكر من دخل المغرب من العلويين حيث يورد أسماء كل من إدريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وداود بن القاسم الجعفري ابن عمهما، وبعد ذلك يتكلم عن مصير دولة الأدارسة بعد وفاة إدريس بن إدريس.

ويذكر الأحاديث النبوية التي بشّرت بالمهدي ويتعلق الأمر بسبعة أحاديث اقتبسها المؤلف من كتاب "سراج الملوك" لأبي بكر الطرطوشي، وبعد ذكرها يحاول نقدها وتوضيحها معتمدا على شرح الشيخ الخطابي لحديث أم سلمة: "المهدي من عترتي"، وحديث أبي سعيد الخدري "المهدي أجلى الأنف"، ويختم المؤلف هذه الفقرة بإيراد أسماء أبرز من تسموا بالمهدي نقلا عن كتاب "نقط العروس" لابن حزم الأندلسي، وأخيرا يورد أخبارا عن المهدي بن تومرت وجملة من المصادر التي أرّخت لدولة الموحدين، ويختم الكتاب بذكر خلفاء الدولة الموحدية6.

*- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي للباحث عبد القادر بوباية.

يمثل هذا الموضوع أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، وجاء وفقا للمنهجية التالية:

الباب الأول: تناول الباحث فيه أوضاع البربر بالأندلس قبل قيام فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وقسّمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وخصّصه لتتبع استقرار البربر بالأندلس، ومراحل هذا الاستقرار، وأهم الهجرات التي قام بها المغاربة إلى هذه البلاد، والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، والعوامل التي شجعتهم على الاستقرار بها، وبخاصة في عهد المنصور محمد بن أبي عامر، والمواطن الرئيسة التي استقروا بها.

الفصل الثاني: وخصصه لدور البربر في المجالين العسكري والسياسي؛ فذكر دورهم في فتح الأندلس، وفي قيام الإمارة الأموية بها، واعتماد الأمراء والخلفاء عليهم في مواجهة أعدائهم، وبخاصة نصارى الشمال الإسباني، ودورهم في حماية الثغور الشمالية والشمالية الشرقية، وختم ذلك بذكر أبرز القادة العسكريين من أصل بربري، وركّز في المجال السياسي على المساهمة البربرية في تولي الوظائف الإدارية والقضائية، وأبرز ضعف مساهمتهم في هذا المجال قبل القرن الرابع الهجري، وازدياد الاعتماد عليهم في هذا المجال خلال القرن الرابع الهجري، وأشار إلى العوامل التي ساعدت على ذلك، كما ذكر البربر الذين تولوا مناصب إدارية وقضائية خلال القرن الرابع الهجري وقبله من أجل المقارنة.

الفصل الثالث: وركّز فيه على المساهمة البربرية في الحركة العلمية ومكانتهم الاقتصادية والاجتماعية؛ فذكر عوامل ازدهار الحركة العلمية بالأندلس بداية من منتصف القرن الثالث الهجري، ونصيب البربر من هذه الحركة؛ وبين ضعف هذه المشاركة قبل القرن الرابع الهجري واتساعها خلاله، والعوامل التي تسببت في الظاهرة الأولى؛ وتلك التي شجعت على الظاهرة الثانية، كما ذكر أهم الفروع العلمية التي شارك فيها البربر وبرزوا فيها، وأبرز العلماء إضافة إلى النتائج التي تمخضت عن هذه المشاركة العلمية والثقافية الواسعة لهم.

وبالنسبة لمكانة البربر الاقتصادية والاجتماعية؛ فقد تطرق الباحث إلى احتكار العرب للأراضي وحرمان البربر منها، وذكر بعض البيوتات البربرية الثرية ومكانتها الاجتماعية والحرف التي مارسها البربر من حضر وبدو والمكانة التي احتلوها في الهرم الاجتماعي للأندلس وبين الصورة المنحطة التي رسمها بعض الكتاب والأدباء الأندلسيين للبربر والتي يعبر عنها أحد شعرائهم حين يقول:

رأيت آدم في نومي فقلت له　　أبا البرية إن الناس قد حكموا

أن البرابر نسل منك، قال: إذن　　حواء طالقة إن كان ما زعموا[7]

الباب الثاني: وتناول فيه بالبحث فتنة القرن الخامس الهجري وموقف البربر منها وقسمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وخصّصه لقيام الفتنة ومراحلها وأسبابها البعيدة فبدأ بقيام الفتنة على يد محمد بن هشام بن عبد الجبّار المهدي والسياسة التي انتهجها والنتائج التي أدّت إليها ومنها مبايعة البربر للمستعين بالخلافة وبداية الصراع الدموي بين المسلمين والذي انتهى في مرحلته الأولى بدخول البربر مدينة قرطبة ثم استيلاء الحموديين على منصب الخلافة وتطور الفتنة خلال حكمهم ثم تطرق إلى عودة بني أمية للحكم والمرحلة الأخيرة من عصر الخلافة التي انتهت بقرار إلغائها ونفي أفراد البيت الأموي من الحضرة وأتبع موضوع الفتنة بمحاولة استقصاء الأسباب البعيدة التي كانت وراء قيامها.

الفصل الثاني: وخصّصه لموقف البربر من الفتنة ومحاولة تحديد المسؤوليات حيث تطرق لموقف البربر عند قيام المهدي على الخليفة هشام وحاجبه عبد الرحمن شنجول وسياسة الخليفة الجديد إزاءهم ورد الفعل البربري على ذلك وبداية الصراع بين البربر وغيرهم من أفراد المجتمع الأندلسي الذي انتهى بانتصار البربر ودخولهم مدينة قرطبة سنة 403هـ وقيام

المستعين – الخليفة الأموي– بتقسيم أجزاء من جنوب الأندلس ووسطها على زعماء القبائل البربرية وظهور دويلات خاصة بهم ثم تعرض إلى موقف البربر من الفتنة عقب ذلك التاريخ وتصدّيهم لهجوم المرتضى المرواني وحلفائه من الصقالبة وأمراء الثغور وانتصارهم عليهم وختم هذا الفصل بمحاولة تحديد المسؤوليات فيما جرى من أحداث بالأندلس خلال الربع الأول من القرن الخامس الهجري ولاحظ الاختلاف الكبير بين المؤرخين القدامى والمعاصرين في هذا المجال؛ فأورد مختلف آرائهم وسعى إلى تحديد المسؤول عن قيام الفتنة اعتمادا على النصوص التاريخية الواردة في المصادر التي كتبت عن أحداثها.

الفصل الثالث: وخصّصه لذكر نتائج الفتنة القائمة خلال الربع الأول من القرن الخامس الهجري بالعدوة الأندلسية فبدأ بالنتائج السياسية وأدرج ضمنها الممالك التي أسسها البربر وتطورها التاريخي وعلاقتها بغيرها من الممالك التي أسستها بقية عناصر المجتمع الأندلسي وبخاصة العرب والصقالبة وأبرز تكالب النصارى على المسلمين وبلادهم خلال ذلك ثم تطرق إلى النتائج الاقتصادية التي نتجت عن الفتنة والآثار الاجتماعية التي ترتبت عن ذلك من انتشار للمجاعة والأوبئة وبين في آخر هذا الفصل أثر الفتنة على الحياة الثقافية والعلمية من قتل للعلماء وفرار البعض الآخر وجمود الحركة العلمية في مدينة قرطبة خاصة وازدهارها في غيرها من حواضر الأندلس والعوامل المساعدة على ذلك[8].

وختم الباحث أطروحته بالتطرق إلى أبرز النتائج التي توصل إليها في بحثه إضافة إلى وضع ملاحق أبرزها شجرة أنساب لأبرز البيوتات البربرية القاطنة بالعدوة الأندلسية.

الخاتمة: إن التمعن في هذا الكمّ الكبير من الرسائل الجامعية المخصصة لتاريخ الأندلس يثبت بما لا يدع مجالا للشك الاهتمام الذي يبديه الباحثون لموضوع الأندلس ضمن الدراسات العليا، وهو الأمر الذي يؤكد الارتباط الذي ما زال قائما بين الجزائريين وماضي العدوة الأندلسية الذي يمثل جزءا لا يتجزأ من تاريخ الأمة الإسلامية، كما أن الموضوعات التي وقع عليها اختيار الباحثين تدل أيضا على الحنين إلى ذلك الماضي المشرق من جهة، وإلى الاعتبار بتلك النهاية المؤلمة من جهة أخرى.

إن اختيار مواضيع متعلقة بالحضارة الراقية التي حققها مسلمو الأندلس تدفع إلى ضرورة الاستنارة بذلك الماضي المشرق من أجل استيعاب الدروس، والسعي الحثيث لتحقيق ما

حققته الأجيال التي سكنت بلاد الأندلس، وأنجزت ما أنجزت في ظل ظروف أقل ما يقال عنها أنها لا تساعد كثيرا على الإبداع والتقدم.

إن التطرق لمواضيع يتعلق محتواها بالعدوة الأندلسية يعيد إلى الأذهان تلك المآسي التي عاشها أهل الأندلس سواء في زمن الفتن التي حدثت خلال فترات مختلفة من تاريخ الأندلس أو تلك التي عاشها آخر القاطنين بالعدوة الأندلسية من المسلمين، كما تدفع أيضا إلى استلهام العبر والدروس، وذلك بغية تفادي الأخطاء التي وقع فيها السلف من هذه الأمة، من ذلك مثلا الفتنة التي وقعت في نهاية القرن الرابع الهجري؛ وبداية القرن الخامس الهجري، والتي تميزت بالاقتتال بين المسلمين وبخاصة بين البربر والعرب، واستعانة كل من الطرفين بالنصارى؛ وهو الأمر الذي مكن هؤلاء من استعادة كثير من المناطق التي كانت في أيدي المسلمين.

الهوامش:

1- فراد محمد أرزقي- القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1991م- ص1-2.

2- نفسه – ص 123-124.

3- عبد القادر بوباية- مفاخر البربر دراسة وتحقيق- رسالة ماجستير- معهد التاريخ- جامعة وهران السانية- 1417 هـ/1997م- المقدمة ص7، وقد نشرت بالرباط (المملكة المغربية)- دار أبي رقراق سنة 2005م، وصدرت الطبعة الثانية سنة 2008م.

4- نفسه – المقدمة – ص 8.

5- نفسه- ص 17.

6- نفسه- صص 55-63.

7- أحمد بن محمد المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت- ط2- 1997م- ج3 ص412.

8- عبد القادر بوباية- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)- رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي- قسم التاريخ- جامعة وهران السانية- 2002م- المقدمة صص د...ز، وقد طبعت سنة 2011م بدار الكتب العلمية- بيروت.